مدينـة القنيطـرة

توافدَ تجارُ دمشق المشهورون بمزاولةِ مهنةِ التجارةِ إلىٰ مدينة القنيطرةِ الناشئةِ المليئةِ بالأنشطةِ السكانية والعمرانية والتجارية ، وأنشؤوا فيها مخازن ومتاجر ووكالاتٍ وفروعٍ لمنشآتهم في هذه المحافظة المحدثةِ ، وصارت المدينة تَعُجُّ بكلّ أنواع المتاجر والمصانع المملوءةِ بالبضائع التي يحتاجُها أهلُ المنطقةِ وسكانها القاطنين فيها ، وصارت الطريق إلىٰ دمشق لا تنقطعُ ليلاً ولا نهاراً ، وامتدت الحركةُ التجارية إلىٰ مدينتي بانياس وفيق مركزي القضائين علىٰ خط الجبهة ، وصارا يَعُجّان بالحركةِ التجارية والخدمية بما يُلبّي حاجةَ السكان والجنودِ وعائلاتهم المتواجدين في خط النار مع العدوِّ ، فتُباع الأقمشةُ والملابسُ والصناعاتُ الكهربائية والمنزليةِ والمواد الغذائية والحلويات التي كانت مرغوبة عند السكان والعساكر كالهريسة والبقلاوة والغريبة والمعجنات بأنواعها .

كما قَدِمَ إلىٰ المدينةِ أصحابُ المهن والحِرَفِ ، فتحتْ محلاتُ التجارةِ والحدادةِ والأثاثِ المنزلي والحُلِي والصّاغَةِ

وصارت أسواقُها تبرِقُ بالألوان الزاهية ، فتغري النساء والرجال الراغبين في شراءِ الملابِس الفَرَنجيَّةِ والعربيَّةِ ، والتَّزَيُّنِ بالأساورِ والخواتِمِ والخَلاخيلِ والعُرجاتِ المزيَّنَةِ بالليرات الذهبية المصفوفةِ فوقَ جَبين المليحات ، ورؤوسِ المزيونات وخاصة العرائِس ، حيث كثرت الأفراحُ والزيجاتُ وعمت المسراتُ في ربوعِ الجولان مع وفرةِ الخيراتِ وخَصْبِ الحقولِ والمواسِم ، ورغبةِ الشبابِ في إكمالِ نصفِ دينهم .

وانتشرت المدينةُ غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ، وكنت ترىٰ البنايات والفِلَلِ والعماراتِ والشوارع المعبَّدَةِ الواصلةِ إلىٰ القرىٰ في الجبهات الثلاث ، الجنوبية والوسطىٰ والشمالية ، وجاءها الناس من كلّ حدبٍ وصوب ، وعرفها القاصي والداني من كل أطراف الجمهورية العربية السورية ، من القامشلي إلىٰ السويداء ودرعا وحلب وإدلب ، وتدمر وحمص وحماه ، واللاذقية وطرطوس والرقة ، وهم يزورون أقاربهم المرابطين في الثغورِ علىٰ خط الجبهةِ علىٰ طول ٧٠ كم مع فلسطين المحتلةِ وكل جنديّ أو مجندٍ أو مقاتلٍ رابط فيها ونَفَّذَ مهماتٍ في ثغورها أو أقامَ فيها زائراً أو ضيفاً أو زائراً ، فالجميعُ يتذكرُها وَيَحُنُّ إليها ويُحِبُّها ويتحسَّرُ علىٰ أيامِهَا الحلوة الجميلة وينتظرُ الأيام التي يتم فيها تحرير هذه البلاد الغالية من بَراثِنِ الصهاينة .

سكن في مدينة القنيطرة العربُ والشركس والتركمان ، وكان فيها عائلاتٌ مسيحيةٌ مستوطنةٌ منذ زمن بعيد عَبْرَ القرون

وتَوَطَّدت الصِّلاتُ بينهم وبين المسلمين ، والعلاقات الحسنة بين الشعوب والعائلات فقامت مصاهرات وصداقات ، وامتزجت الأفراح وتنوعت أنشطتها وصار العربي يرقصُ رقصةَ الشركس والشّركَسي يَدْبُكُ في دبكةِ العرب ويهزجُ أهازيجَهم .

وكان منهم الجنودُ والضباط في صفوف تشكيلات الجيش العربي السوري الفَتيّ ، وقد شاركوا في المعاركِ الجهادية والقتال إلىٰ جانب إخوانهم العرب ضد العدو الصهيوني المتغطرس ، وأبلوا بلاءً حسناً في هذه المواجهات شمال بحيرةِ طبرية وغربها وشرقها ، ومنهم ضباط استشهدوا علىٰ أرض فلسطين الحبيبة نتيجةَ معارك خاضوها مع جنودهم ، ولم يَتَزحزَحوا من مواقعهم رغم كثافةِ النيران وتصدوا لأرتال الدبابات المهاجمة وحَطَّموها ، ورَووا بِدِمائِهم ترابَ الأرض المقدسة ، وهم الذين يُؤمنون بالبطولة والرّجولة والتضحية في سبيل الوطن ، وتكريماً لأمجادِهم ولِذِكْراهم أُطْلِقَت أسماؤُهم علىٰ مدارسَ ومنشآتٍ في دمشق والقنيطرة والمدن السورية ، ودُوِّنَ في سجلاتها صفحاتٍ من سيرةِ حياتهم والمعارك التي خاضوها علىٰ أرض الوطن الغالي وضحوا من أَجْله بأرواحهم .

أما المواطنون التركمان في عدة قرىٰ غرب القنيطرة ، فلم يكونوا أقلَّ تضحيةً في سبيل الوطن من إخوانهم الشركس والعرب .

* * *